بِسۡــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الأستاذ خضر شحرور

كيف يحبني الله

الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه وأسترشده، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله حكم فعدل وأعطى فأجزل، وأشهد أن سيدنا مُحَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي ارتضاه وإلى خير أمة أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، عباد الله ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٣] اللهم أجرنا منه يا رب العالمين.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: كنا قد بدأنا بسلسة طيبة، مفادها سؤال يطرحه الناس دائماً، كيف يُحبني الله سبحانه، وكيف أكون محبوباً من الله تبارك وتعالى؟ كيف أصل إلى هذه المرتبة؟ وكيف أنال هذه المحبة من الله؟ فأجاب الحبيب الأعظم مُحَّد ﷺ كما يروي لنا ذلك كتاب الله: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ الله﴾ [آل عمران: ٣١] إذاً تتبعُ رسول الله ﷺ بأن تقرأ صفاته وشمائله، ترى كيف كان رسول الله ﷺ فتكون على قدم الحبيب الأعظم مُحَّد ﷺ، بذلك تصل إلى المراتب العالية، تنال محبة الله سبحانه وتعالى، فتنزل عليك الرحمة، وتكون من أولئك الذين يُحبهم الله ويحبونه.

إذاً نظرنا إلى رسول الله ﷺ ستجد أن كل الكمالات موجودة في رسول الله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ كان يُميز نفسه بأشياء ويُبرز شخصيته بأمور، فهو القائل ﷺ: (إنما بُعثت معلماً) هذه الكلمة التي يريد منها رسول الله ﷺ تعظيم العلم والعلماء، وتعظيم طلب العلم، وتعظيم طالب العلم، لأن هذه القضية هي التي يَصل الإنسان فيها إلى محبة الله تبارك وتعالى، فهو القائل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَخشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاء﴾ [فاطر: ٢٨] إذاً الذي تحصل له الخشية هو العالم، الذي يصل إلى المحبة هو العالم، رسول الله ﷺ بُعث

معلماً، وقرآننا وكتابنا شاهدٌ على ذلك، فأول آية نزلت في كتاب الله سبحانه هي ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١] إذاً كتاب تنزل فيه أول آية هي ﴿اقرأ﴾ كتاب تبتدأ آياته بقوله: ﴿ن * وَالقَلَمِ وَمَا يَسطُرُون﴾ [القلم: ١] دِينٌ فيه علم وفيه قلمٌ وقراءة، ورسوله مُعلمٌ، ليدعو الإنسان أن يعلم أن الله لا يحب الجاهلين، إن الله يحب العالمين، إن الله يحب أولئك الذين يتعلمون، لأن العلم لا يُوصل إلا إلى الله، وأن هذه العلوم مهما تنوعت مواردها ومهما اختلفت تسمياتها، فكلها ستوصل إلى الخالق العليم، وكلها ستدل على الخالق البارئ المصور، لذلك قال الرسول ﷺ: (إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير) [أخرجه الطبراني] الحوت في البحر يدعو للمعلم الذي يرشد الناس ويعلم الناس الخير، ويدلهم على طريق الله تبارك وتعالى، فإذا أردت أن تكون محبوباً من الله كون متعلماً، أو كن معلماً، أو كُن سالكاً في هذه الطريق، وقل ربي زدني علماً، واعلم أن كل شيء ينتهي بالإنفاق إلا العلم فإنه يَزداد، كلما أنفقت من علمك كلما ازداد علمك، وكلما ازداد علمك كلما ازددت قرباً من الله.

إذا أردت أن تكون محبوباً من الله فإن الله سبحانه وتعالى يُحب البررة، يحب أولئك البارين بآبائهم وأمهاتهم، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَانَاً﴾ [الإسراء: ٢٣] انظر الى هذا الربط، إذا أردت المحبة الحقيقية، إذا أردت أن تُصنع على عين الله، كما قال ربنا: ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَى عَينِي﴾ [طه: ٣٩] لا بُد أن تكون باراً بوالديك، فالعاق لا يَرِحُ رائحة الجنة، لا يشم رائحة الجنة، لا يُوفق في الدنيا، ولا يُوفق في الآخرة، وتنزل عليه لعنة الله تبارك وتعالى، بقدر ما تكون باراً بأبويك، باراً بأمك، باراً بأبيك، بقدر ما تعلو مرتبتك عند الله، والله لو صليت الليل والنهار، ولو صمت دهرك كله، ولو حججت في كل عام، وكنت دائم العقوق لوالديك، فإن ذلك كله لن ينفعك يوم القيامة، لن تنتفع بعملك كله، لأن الرسول ﷺ يقول عن الأم: (الزم رجلها فثم الجنة) [أخرجه ابن ماجه] هكذا نص الحديث: (الزم رجلها فثم الجنة) أي هناك الجنة، لما استأذن أحد الصحابة رسول الله ﷺ في الجهاد، (قال: ألك أبوان؟ قال نعم، قال: ففيهما فجاهد) [أخرجه أبو داود] أنا أعجب كثيراً لأولئك الذين يبحثون عن الصالحين والأولياء، وتراهم عاقين لآبائهم وأمهاتهم، أبوك وأمك هما جنتك ونارك، كما قال رسول الله ﷺ، إذا أردت الدعاء المجاب، وإذا أردت دعوة مضمونة الإجابة، ابدأ بأبويك فالزمهما واكسب برهما، وخذ دعوة

صالحة منهما ثم اطلب الدعاء ممن تشاء، فكل من دعا لك إذا لم تكن أمك راضيةً عنك، إذا لم يكن أبوك راض عنك فعملك مضروب به عرض الحائط.

أيها الأخوة: هذه أيام يُذكر فيها بالمعلم، أيام يُذكر فيها بالأم، ووالله ما جُعل يوم للأم إلا لأننا قصرنا في حقوق أمهاتنا، ما جُعل يوم للمعلم إلا أننا قصرنا مع معلمينا، ما جُعل يوم مخصصٌ إلا لأولئك الشاردين الناسين، المسلم الحقيقي لا بد أن يَكسب البر والرضا في كل يوم.

وآخر شيء نذكر به حديث رسول الله ﷺ عن الصخرة التي نزلت إلى الغار، صخرةٌ نزلت على باب غار فأوصدت الباب، وثلاثة نفر داخل الغار، وأيقنوا الهلاك، فقالوا: ليسأل كل واحد منا ربه بصالح عمله، واحدٌ من هؤلاء قال: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان، وذكر أنه أتى مرةً في ليلة يحمل اللبن -أي الحليب- وأولاده يتضورون جوعاً يبكون، وهو واقفٌ على رأس أبويه وهما نائمان، فما أيقظهما رحمةً بهما، وبقي واقف إلى أن استيقظا، وأولاده يطلبون الحليب جوعاً، قال: إن كنت فعلت ذلك في سبيلك فافرج عنا ما نحن فيه، وإذ بالصخر يَنفتح، إذ بالحجارة تتحرك، تحرك الصخر وتحركت الحجارة ببر الوالدين، فأين تذهب أيها المؤمن، وأين تذهب أيها المسلم، وكيف يفوتك هذا الخير، فاعمد في يوم مثل هذا اليوم أن تراجع نفسك لتكون ولداً صالحاً في كل يوم، باراً في كل يوم، وكثيراً ما أعجب أن يترك الإنسان والداً له في دار المسنين، أو أماً له في دار المسنين، مع تعظيم وإكبار لمن يقومون على هذا العمل، لكن هل من البر إذا انزعجت زوجتك من أمك، هل من البر إذا انزعج أولادك من أبيك، لأنه أصابه الكبر، وأصابه الخرف، فأنت الآن لا تطيقه لحظة، وقد حملاك عمرهما كله، وهما يتمنيان الموت لهما والحياة لك، أن تجعلهما في دار ثم تتركهما هكذا، هذا البر -أيها الاخوة- لا يكون براً حتى تجلس تحت أقدامهم، لا يكون البر حتى تأخذ الرضا منهما، لا يكون البر والتوفيق لك في حياتك حتى تلتمس الرضا منهما، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول قولي هذا واستغفر الله، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

بتصرف